

على الخلاف

لم يعد الخطاب العربي يكفي لإخفاء مشكلات سوريا الداخلية. لكن انهيار النظام السوري تترتب عليه كلفة كبيرة وفاتورة ستدفع محلياً وإقليمياً ودولياً. ذلك أنه صمد بوجه العواصف التي ضربت بلدان الجوار وحقق قدراً كبيراً من الهدوء الذي كان ضرورة لازمة للجميع

سوريا
فاتورة الاستقرار

بشير البكر

أدهش النظام السوري في عهدي الأسد الأب والابن أعداءه قبل أصدقائه بقدرته على حفظ الاستقرار وسط تقلبات كثيرة في محيطه الإقليمي. ورغم أن النزاعات تسربت إلى داخل سوريا من بلدين مثل لبنان والعراق، فقد تمكن من استباق اتجاه الزلازل وتكيف مع ارتداداتها من دون أن تؤثر عليه فعلياً. وهنا يحضر مثال العراق أكثر من غيره، لسببين. الأول، أن الحكم السوري تصرف على نحو أكثر ذكاءً في ما يخص وضعه العام، وتمكن الرئيس حافظ الأسد من تحقيق نوع فريد من التوازن الداخلي في قيادته لسوريا، رغم أنه لم يكن يمتلك اغراءات صدام حسين من ثروات طائلة وفرها البترول. والسبب الثاني أن سوريا في فترة حكم الرئيس بشار الأسد استوعبت عشرات الآلاف اللاجئين العراقيين والفلسطينيين الفارين من جحيم الحروب والنزاعات في العراق بعد الاحتلال الأميركي، الذين قدرت أرقام الأمم المتحدة أعداد العراقيين منهم بـ 700 ألف، منهم 250 ألف مسيحي. واستطاع الحكم السوري أن يمتص التداخبات السلبية للانهايار العراقي ويمنعها من أن تنعكس سلباً عليه، رغم التداخل الكبير بين البلدين. ويكفي النظر فقط إلى تأثير هجرة العراقيين إلى سوريا على مستوى معيشة السوريين. ورغم أن العراقيين المهاجرين ساهموا في انعاش النمو من خلال الاستهلاك، فإنهم رفعوا أسعار المواد الأولية وإيجارات السكن وأسعار العقارات والخدمات، واستفادت منهم شريحة معينة، وتضرر السواد الأعظم من السوريين، من دون أن يؤدي ذلك إلى تدمير شعبي أو احتكاكات اجتماعية كبيرة. وتسجل للحكم السوري قدرته على التحكم الأمني في الأعداد الكبيرة الوافدة من العراقيين، الذين تنتمي أعداد كبيرة منهم إلى النظام العراقي القديم.

يندرج ذلك في سياق سلسلة من الإيجابيات الكثيرة التي تسجل للنظام السوري على صعيد ترسيخ نموذج متميز من الاستقرار على المستوى الداخلي. أولى الإيجابيات أن سوريا بلد متنوع ومتعدد دينياً وطائفيًا وعرقياً. ومجتمعها يعد مجتمع فسيحاً منذ القدم العصور، الأمر الذي أغناها على المستويات كلها، فالاندماج بين مكونات النسيج السوري حقيقة تاريخية وليس امراً مفتعلاً املته ظروف وقتية عابرة. ورغم المآخذ الكثيرة على حكم الحزب الواحد، بقيت هذه الوضعية المتميزة فوق الحسابات، ويظهر ذلك جلياً على صعيد حساسية السوريين من الطائفية والمناطقية، التي بقيت مدمومة لدى السوريين رغم الممارسات التمييزية من جانب اطراف في الحكم، والأمر

الجدير بالملاحظة هو أن الاختلافات والتعارضات في سوريا نادراً ما أخذت شكل الانقسامات الدينية أو الطائفية أو العرقية، بينما تفشت هذه الأمراض في دول الجوار.

الحركة الاحتجاجية الحالية لامست هذا الجانب، وبرزت مخاوف من أن يتعرض النموذج السوري للضرر، وظهرت مخاوف محلية وخارجية جديدة من أن يقود تصاعد الحركة الاحتجاجية إلى تاجيح نزعات طائفية وعرقية. وهناك خشية من اهتزاز النموذج السوري بوصفه مثال الاستقرار في المنطقة. ونظراً لخطورة هذه النقطة فقد توقف الرئيس السوري بشار الأسد امامها في خطابه الأخير، حين...

الإيجابية الثانية هي اجتماعية، ويسجل هنا أن سوريا تعد متقدمة اجتماعياً على صعيد القوانين والممارسات. ويشار هنا إلى التعايش بين مختلف الحساسيات على ارضية

لم تصل الهوة بين الفقراء والأغنياء حد الجوع كما في بعض البلدان مثل مصر

مشروع

الحكومة السوريّة تعرض مشروع قانون جديد للأ

9)، أن يكون العضو المؤسس السوري الجنسية منذ 10 سنوات على الأقل، وقد أتم 25 عاماً ومقيماً في سوريا وتمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية وغير محكوم عليه بجناية أو جرم شائن وغير منتسب إلى حزب آخر سوري أو غير سوري. ويرفق طلب التأسيس بالنظام الداخلي والبرنامج السياسي للحزب والقواعد الناظمة لكل شؤونه (اسم الحزب وشعاره وعنوان المقر الرئيسي ومقاره الفرعية وأهدافه ومبادئه وشروط العضوية وكيفية تنظيم هيئاته وأسلوب اختيار قيادته والنظام المالي وقواعد وإجراءات الحل والانضمام والاندماج).

وعند تقديم الطلب، يجب أن يكون الحد الأدنى لعدد الأعضاء في الحزب عند التأسيس لا يقل عن 2000 عضو (مسجلين في سجلات الأحوال المدنية لنصف محافظات سوريا على الأقل، وأن لا تقل نسبة الأعضاء عند التأسيس في

وحدة الوطن وعلانية مبادئه وأهدافه ووسائله ومصادر تمويله، وعدم قيامه على أساس ديني أو قبلي أو مناطقي أو فئوي أو مهني أو على أساس التمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللون. وتشترط أيضاً على عدم انطواء الحزب على إقامة أية تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية علنية أو سرية، أو استخدام العنف وأن لا يكون الحزب فرعاً أو تابعاً لحزب أو تنظيم سياسي غير سوري. وتتألف لجنة شؤون الأحزاب بموجب المادة 7، بحيث يكون وزير الداخلية رئيساً لها، ونائب رئيس محكمة النقض عضواً، إضافة إلى 3 شخصيات عامة مستقلة يسميها رئيس الجمهورية لمدة ثلاث سنوات أعضاء. وتبنت هذه اللجنة طلبات تأسيس الأحزاب.

وفي إجراءات تأسيس الحزب، يقدم الطلب إلى اللجنة المذكورة بعد أن يوقع عليه 50 من أعضائه المؤسسين، وهؤلاء يجب أن يستوفوا الشروط التالية (المادة

أعلنت رئاسة الوزراء السورية وضع مشروع قانون جديد للأحزاب السياسية في صيغته الأولية، يتضمن 38 مادة تحدد شروط تأسيس الحزب، وتعزف شخصيته القانونية، والهيئة المشرفة على تأسيس الأحزاب ومراقبة عملها، وهي هيئة تتمتع بصلاحيات واسعة ويرأسها وزير الداخلية.

وتنص المادة 2 منه على حق المواطن السوري في «تأليف الأحزاب السياسية والانخساب إليها وفقاً لأحكام هذا القانون»، وعلى دور الأحزاب في تنظيم المواطنين وتمثيلهم سياسياً (المادة 3) وسلمية نشاطهم «بالوسائل السلمية والديموقراطية لتحقيق برامج محددة ومعلنة تتعلق بالشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بهدف المشاركة في السلطة».

وتنص المادة 5 على شروط تأسيس الحزب، وهي: الالتزام بأحكام الدستور ومبادئ الديمقراطية والحفاظ على

احترام العادات والتقاليد والمعتقدات، فالتعايش بين الحديث والقديم يأتي ضمن سياقات اجتماعية تحترم خصوصية كل طرف. والسائر في شوارع المدن السورية، أو حتى الأحياء الداخلية، يلاحظ التجاور في العادات واللباس، وكل يتصرف من منظوره ومفاهيمه، ويسجل لسوريا أنها قطعت اشواطاً كبيرة في التعليم ومحو الأمية، وأتاحت للمرأة أن تتراد جميع ميادين العمل، وتعد المرأة السورية متقدمة اجتماعياً بالمقارنة مع محيطها العربي والإسلامي. والخشية هنا من مجيء نظام إسلامي يعيد المرأة إلى السوراء ويطيح بالإنجازات الاجتماعية، التي قامت على الخصوصية ضمن التنوع والتعددية الدينية والعرقية.

وفي جانب آخر لم تصل الهوة بين الفقراء والأغنياء حد الجوع كما في بعض البلدان مثل مصر، وثبتت الحكومة أسعار السلع، وقدمت رعاية صحية مقبولة ومقدوراً عليها وأدوية رخيصة ومحروقات مدعومة ومدارس وجامعات حكومية مجانية.

والإيجابية الثالثة هي الأمان والنظام، فالإجراءات الأمنية الصارمة ليست كلها سلبية، رغم أنها تحصى انفاس المواطن وتدخل في تفاصيل حياته، فهناك جوانب إيجابية، جعلت السوريين يفاخرون في العقد الأخير بما يتمتعون به من أمان وأمن، ويقارنون أنفسهم بالعراق ولبنان. وصاروا يدركون أهمية وجود الدولة الأمنية القوية الساهرة



رئيس الوزراء السوري عادل سفر



خلال تظاهرات مؤيدة للأسد في دمشق أمس (مظفر سلمان - أ ب)